(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة:٢٧٨-٢٨١]

الشيخ: إلى هنا.

الحمد لله، بعدما بيَّنَ -سبحانه وتعالى- تحريمَ الربا وتوعَّدَ المُرابينَ والمستحلِّين للربا، أتبعَ ذلك بتوجيهِ المؤمنينَ إلى التوبةِ وتركِ الرِّبا الذي لهم في ذِمَمِ الذين استدانُوا، المَدِيْنِينَ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} ومهَّدَ لوجوب تركِ الرِّبا بالوصيةِ العامةِ: {اتَّقُوا اللَّهَ} ومِن تقوى الله: تركُ الربا ابتداءً، أو استدامةً؛ فلا يجوزُ عقدُ الربا أصلًا، ومَن وقعَ منه عقدُ الربا فإنه يجبُ عليه أن يتوبَ وألَّا يأخذَ من الذي دايَنَهُ، بل عليهِ أن يتركَ ويكتفي برأسِ مالهِ {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}.

ولا يجبُ على مَنْ دخلَ في عقد ربا أن يتركَ كلَّ ما لهُ عند المَدين، بل يتركُ الربا الزيادةَ، ولا حرجَ عليه أن يأخذَ رأسَ ماله، {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} فلا يُنقَصُ مَن دخلَ في عقدِ ربا، لا يُنقَص من رأس مالِه، بل على المدينِ أن يردَّ رأسَ المال، فلا يظلمُ الدَّائنُ المَدينَ بالزيادةِ عليهِ وبفرضِ الربا عليه، ولا يظلمُ المدينُ الدَّائنَ بِبَخْسِ رأسِ مالِه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ .. وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} هذا هو العدلُ، الحمد لله.

ثم قال -تعالى-: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} يعني: المَدينُ إذا كان مُعسِرًا فيجبُ على الدَّائن يُنظره أي: يمهلَهُ؛ فالإعسارُ عذرٌ، عَجْزٌ، العجزُ عن السَّداد، {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ} يعني: إذا وُجدَ، "كانَ" هذه تامَّة، {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} يعني: فعلى صاحبِ الدَّين صاحبِ الدَّين الذي لهُ الدَّين يجبُ عليه أن يُنظِرَ المُعسرَ، ولا يُحْرِجُهُ ولا يُطالِبُهُ ولا يُخاصِمُهُ ما دام أنه معسرٌ، ولا يجوز حَبْسُ المُعْسِر.

{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إنْ تصدقتُم بالإبراءِ وإسقاطِ الدَّين كاملا أو إسقاط بعضِه فذلك خيرٌ، فندبَ الله أصحابَ الديون وأصحابَ الحقوق ندبَهُم إلى أمرين: أحدَهما أفضلُ من الآخر، ندبَهم -أولًا- إلى الإنظارِ، ثم ندبَهُم إلى ما هو أكملُ وهو الإسقاطُ، الصدقةُ، {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

ثم ختمَ هذه الآياتِ –في أمرِ الربا– بوصيةٍ عظيمةٍ عامةٍ: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} اتَّقُوا هذا اليومَ بالاستعدادِ له بالعملِ الصالحِ الذي يَقِي العبدَ شرورَ ذلك اليوم، {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} يُجْزَى كلُّ عاملٍ بعمله، {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [النحل:١١١]، وقد قيل: إنَّ هذه الآيةَ هي آخرُ ما نزلَ من القرآن، آخرُ آيةٍ نزلَتْ {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} فيجبُ على المسلم أن يتذكَّرَ هذا اليومَ العظيمَ الذي يجمعُ اللهُ فيه الأولينَ والآخرينَ، وتنزلُ فيه الملائكةُ، ويجيءُ الربُّ للفصلِ بين عبادِه، ويُوفَّى كلُّ عاملٍ عملَهُ، {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٦-٨]